المحاضرة الثالثة
المنهج السيميائي المعاصر

د. شيماء جبار علي

جمهوريّة العراق / جامعة الأنبار/ كليّة التّربية للبنات
قسم اللغة العربية

التخصص الدقيق : نقد حديث

المصطلح والنشأة:

تعد القراءة السيميائية من إفرازات النظرية اللسانية المعاصرة ، التي قلبت الدراسات اللغوية رأسا على عقب وشكلت منهجا جديدا في مقاربة اللغة يقوم على الوصف والتحليل ، واصبحت هذه القراءة الاكثر انتشارا في الساحة النقدية العالمية والعربية ، بحكم قدرتها على استيعاب الرموز اللغوية داخل النص .

فإن السيميائية وكما يراها (شارلز موريس)، أنها العلم الذي ينسق العلوم الأخرى، ويدرس الأشياء أو خصائص الأشياء في توظيفها للعلامات، ومن ثم فالسيميائيات هي آلة كل العلوم (علم العلوم)، لأن كل علم يستعمل العلامة، وتظهر تاليا نتائجه طبقا للعلامات، إذن هي العالم الواصف أو علم العلوم، مما يستوجب استعمال السيميائيات ويعد (دي سوسير)أول من بشر بميلاد هذا العلم، في محاضراته الصادرة1916 حين قال: اللغة نظام من العلامات التي تعبر عن الأفكار و فيما بعد استقلت السيميائية بموضوعها؛ في العصر الحديث، وأضحى لها اتجاهات عدة، ونقطة الاختلاف بينها وبين القصدية؛ في(العلامة)، فهناك من يؤكد الطبيعة التواصلية للعلامة:

علامة = دال + مدلول + قصد

وهناك من يركز على الجانب (التأويلي للعلامة)؛ أي من خلال قابليتها للتأويل الدلالي بالنسبة للمتلقي

أنواع السيميائيات :

1. سيميائية التواصل

تهتم بدراسة طرق التواصل، أي دراسة الوسائل المستخدمة للتأثير والتواصل مع الاخر، و المعترف بها من قبل الشخص المستقبل؛ أي أن تفرض وجود قصد التواصل من قبل المتكلم، يكون معترفاً به من طرف متلقي الرسالة، فمن منظورها تعد اللغة ما هي؛ إلا نظام تواصل، يتضمن قدراً كبيراً من الانسجام، سمح للدراسة اللسانية بالاهتمام بالنموذج الذي رسمه جاكوبسون: (المرسل- الرسالة- الملتقي- سنن الرسالة- مرجعيتها)، وذلك بتمكينها من تجاوز التطبيق اللساني، المحصور على جملة محدودة من الخصائص، التي تشتمل على الظاهرة اللغوية، إلى القراءة اللسانية للنصوص ومظاهر التعبير الأخرى.

2_ سيميائية الدلالية .

هي دراسة أنظمة الدلائل، التي لا تستبعد الإيحاء، وترفض التمييز بين الدليل والأمارة، ومن الملفت للانتباه أن الحديث عن الظواهر الدلالية، يستدعي بالضرورة الحديث عن (العلامة)، لأن الظواهر الدلالية؛ ما هي إلا نسق مكون من (علامات، أو رموز)، ذلك بعد اللغة الشرط الضروري لنقل المعرفة، ومن دونها نصبح عاجزين عن تلقين أو تلقي أي معرفة. لأنها لا تحمل إلا بواسطة أدوات لغوية، وبالتالي لا يمكن أن نغفل عن البعد السيميائي، الذي تتوافر عليه النماذج التحليلية اللسانية، حيث أن العلامة تكون قابلة للتحليل، انطلاقا من قيم خلافية ناتجة في جوهرها عن علاقتها الداخلية.

آليات التحليل السيميائي .

التحليل السيميائي، أو الدراسة السيميائية، تشتمل على المبادئ الأولية للنظرية السيميائية، التي تندرج ضمن الممارسات النقدية، الساعية إلى فضح مكامن السقوط في النظام النقدي التقليدي، المبني أساساً على التقيد بالمسلمات وإصدار الأحكام المسبقة، ولئن كانت هذه الممارسات تشكل قفزة نوعية في الدراسات النقدية العربية.

والتحليل السيميائي يميز بين (السيميوطيقا النصية) وبين (اللسانيات البنيوية الجملية)، ذلك لأن هذه الأخيرة، تهتم بالجملة ترتيبا وإنتاجاً، وهو ما يسمي بالقدرة الجملية، بينماالسيميوطيقا، تهتم ببناء نظام لإنتاج الأقوال والنصوص، وهو ما يسمي القدرة الخطابية. فغدى بذلك التحليل السيميائي يتعامل مع الأشكال السردية، بنظره كونية مستقلة، بوصفها ذات حمولة معرفية ترتبط بالعبقرية الإنسانية.وهو أيضا – أي منهج التحليل السيميائي- ما يدعي بالقراءة السيميائية؛ التي تتطلع إلي الكشف عن دلالات السمات الكامنة في مجاهل اللغة، الطبيعية والاصطلاحية معا .

التحول الدلالي للعلامة داخل النص الادبي

الخطاب السردي كغيره من الخطابات، يستند إلى الصيرورة السيميائية للعلامة المتمظهرة في فعل المتواصل - الألفاظ المشكلة للغة - حيث أن الألفاظ في التركيب، تجرى مجرى العلامات والسمات، لاسيما وأن العلامة تستعمل بغية نقل المعلومات من أجل القول أو الإشارة إلى شيء ما. "ولا معنى للعلامة والسمة حتى يحتمل الشيء، ما جعلت العلامة دليلا عليه وخلافه"
لكن هذه العلامات اللسانية، إضافة إلى قابليتها للدخول في علاقات تركيبية، تتميز أيضا بقابليتها **للتحول الدلالي**، حيث تتحول العلامة في سياق معين، إلى علامة ذات دلالة مركبة، يتحول مدلولها إلى دال، باحثاً عن مدلول أخر.

السيميائية والنص السردي

إذن فقد اكتسب السرد مفهوماً سيميائياً جوهرياً، في ظل تطورات السيميائية السردية، اذ أصبح نشاطاً سيميائياً، يضطلع بتمثيل الوقائع كلها، بل أنه أصبح يمثل "مركزاً لكل نشاط سيميائي"، ووسيلته في ذلك؛ هي **المحكي**؛ الذي ما هو إلا علامة كباقي العلامات الأخرى، وعليه يكون المحكي أنموذجا أو ظاهرة سيميائية، ليست خاصة بنسق معين. ليبتغي لنفسه عدة سبل، لاسيما تلك التي تستند إلى التمظهرات اللسانية، مثل الحكايات، الروايات، الكتب.
وعليه فإن السيميائية تمنح السرد،((بعداً سيميائيا عاما، يتجاوز تلك النظرة المعهودة في الدراسات الأدبية))، التي ترى أن السرد ذو طبيعة لفظية لنقل الرسالة.

والرواية – على سبيل المثال- من بين الفنون الأدبية، التي تعتمد على جمع من الرموز، هذه الأخيرة التي تحتم بدورها على الدارس الاستعانة بالسيميائية، مع استثمار كل عطاءاتها وإجراءاتها، وكل ما يستظهر به المحلل على قراءة النص. مع أن دراسة الرواية سيميائيا أمر ليس بالهين، فهي تتطلب بحثا قائماً بذاته، مع انه قد لا يكتمل. " لو جئنا نطبق الأدوات السيميائية بكل حذافيرها، على نص روائي طوله مائتا صفحة، فقط، لخرج التحليل المكتوب عن هذه الرواية، في ألف صفحة أو أكثر من ذلك كثيراً

العنوان عتبة سيميائية :

شهدت الدراسات والأبحاث السردية في السنوات الأخيرة اهتماما كبيرا بالعتبات كما نجد عند (جيرار جنيت)، أو هوامش النص عند (هنري ميتران)، أو العنوان بصفة عامة عند (شارل كريفل)، أو ما يسمى اختصارا بالنص الموازي ، فكل هذه الأبحاث سعت جادة لتبين مدى أهمية النص الموازي، وماله من علاقة جدلية مع النص بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وعلى رأس هذه العتبات العنوان، هذا الأخير الذي يعد بطاقة هوية للنص وسمة فارقة له عن غيره، فبه تعرف الرواية ويذيع صيتها، لذلك على الأديب أن يحسن اختيار عنوانه، وهذا الاختيار يحيلنا إلى أن تحديد العنوان ليس اعتباطيا، بل له خلفيات معينة يستند إليها الأديب في اختياره، فالعنوان قد لا يتعدى الكلمة الواحدة، لكنه يعبر عن النص بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وهذا التعبير عن النص يأخذ أشكالا وتراكيب متباينة، وهذا التباين والاختلاف في العناوين يبعث في النفس فضولا لدراستها سيميائيا.
فالعنوان في الرواية ذو أهمية قصوى، فهو ليس حلة أو زينة فقط بل هو خطاب مفكر فيه، فمن خلاله يرسم المتلقي انطباعا أولياعن النص، هذا الانطباع الذي سرعان ما يتوسع ويتقلص مع القراءة، لأن العنوان بنية لها دلالتها الخاصة، تحتاج لمن يصل إليها ويسقطها على النص أو المتن الروائي خاصة، والعنوان المعاصر استطاع أن يكسر هيمنة العنوان الحرفي الاشتمالي، ليؤسس بدلا منه عنوانا تلميحيا .

العناوين المراوغة والعناوين المطابقة للمتن سنقف عند هذا الجانب من خلال المهاد الاجرائي لاحدى الروايات العراقية